الألفاظ التى اختارها طه لكى يعبر بها عن الوحدة التى تربط بين جوانب المطولة . فصورة الأتان الوحشية وما بينها وبين صاحبها من ود وخصام هى صورة هذه النفس السمحة التى تختصم مع نفسها ومع غيرها إيثارا لحريتها ، وصاحب الأتان يخاصم الأتان خصاما لايخلو من صداقة لأنه هو الآخر يؤثر حريته . وفى لغة أدبية محكمة يستطيع القارىء الذى لايقوى على نص المطولة أن يجد فى حياة الأتان وصاحبها هذه الحرية السمحة التى تعرف شيئا من العوائق ، ولكن العوائق لاتمحو الشعور بالحرية بل تذكر الأتان وصاحبها ـ على العكس ـ بهذا الانطلاق أو الاندفاع الحيوى الحر . وإذا بنا نجد فى صورة الأتان وصاحبها مايقوله طه فى إيجاز شديد عن النفس القوية السمحة يشغلها شىء من قلق وتوتر ، ولكن حريتها أو إحساسها الحر كامن فى باطنها لايستطيع شىء ما أن يمحوه أو يعبث به عبثا شديدا .

ويظهر أن طه فتنته هذه الحرية أو هذا الجمال الحر . نحن حينما نقرأ لغته التى يعبر بها عن الناقة نفسها نجد هذا المعنى ، فالناقة متعبة مكدودة ، براها السفر ، وألح عليها الهزال ، ولكن ذلك لم يقعد بها عن السرعة ، وإنما أعانها عليها . فالناقة متعبة مكدودة لأنها حرة ، والناقة تلتمس شيئا من تعب وكد حتى تذوق هذه الحرية ، ولاتستطيع الناقة أن تشعر بهذه الحرية دون أن تدفع من جسمها مانسميه ـ فى عبارة بسيطة ـ باسم التعب والجهد ـ ولكن صورة الناقة ترتبط فى ذهن لبيد بصورة السحاب أراق ماءه فخف واستسلم لأيسر الريح ، وهذه ـ مرة أخرى ـ صورة الحرية يتطلع اليها الإنسان من بعيد معجبا مروعا بعض الروع . وعلى هذا النحو نفسه كانت صورة الأتان وصاحبها ، وكانت صورة البقرة الوحشية البائسة الحرة التى تمتحن فى حريتها . كل شىء فى المطولة من خلال هذه الترجمة الأدبية يمتحن فى حريته ، امتحنت الدار والناقة والأتان والسحاب . ثم البقرة الوحشية . كل هذا العالم يختبر وعيه بالحرية ، ويحتمل فى سبيلها غير قليل من الجهد والصراع .

ولأمر ما اختار طه حسين لترجمة هذه القصيدة عبارات أو نظاما أو سياقا من اللغة يلقى فى نفس القارىء أنه أمام خيال لاتنوؤه العقبات ، ولاتستذله الضرورة ، ولايستسلم لحزن بعيد الغور مطموس الجوانب . إنما كانت المطولة ـ فى رأى طه حسين ـ غذاء لأن النفس محتاجة الى أن تنظر يمنة ويسرة ، والى أن تحزن قليلا ، ثم ترى هذا الحزن جزءا من عالم قوامه البهجة والحرية التى لايستبد بها الغرور والثقة المطلقة بعواطف الإنسان .